# عروض

## عروض موقعة :

- المخطوطات والتراث العربى
- لغة الطفل العربى دراسة فى اكتساب اللغة وتطورها
- اتجاهات فلسفية معاصرة في بنية الثقافة الإسلامية
- ظواهر أدبية في الشعر العربي القديم والمعاصر

## عروض موجزة :

# ربط

## ربط الفعل بالفاعل

- ربط الفعل بالفاعل يتم عن طريق الضمائر
- الضمائر هي كلمات تربط الفعل بالفاعل وتغني عن إعادة ذكر الفاعل
- الضمائر تأتي بعد الفعل مباشرة وتتطابق معه في العدد والنوع والشخص

## ربط الجملة بالجملة

# العروض الموقعة

## المخطوطات والتراث العربى

**الحلوجى، عبد الستار .**

المخطوطات والتراث العربي / عبد الستار الحلوجى.-ط١.-القاهرة:الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢.

١٧٥ص؛ ٢٤سم .

عرض

**أ/أمـــل عبـد القـادر**

ماجستير مكتبات ومعلومات-جامعة حلوان

أخصائي مكتبات ومعلومات

المكتبة المركزية- جامعة القاهرة

إن أنفس ما تقتنيه مكتباتنا هو التراث المخطوط الذي يمكن من خلاله أن نتعرف على سمات الحضارة العربية الإسلامية في أزهى عصورها. فعصر المخطوطات العربية هو العصر الذى تألق فيه الفكر الإسلامي والإبداع العربي، وفى ظله تهاوت الحدود الجغرافية والفوارق العرقية، وفى تياره امتزجت العروبة والإسلام امتزاجا رائعا. فالإمام البخاري -مثلا- استقر في ضمائرنا وأصبح أحد مكونات نسيجنا الثقافي دون أن يخطر على بال أحد أن يفكر في جنسيته أو موطنه، ودون أن يتساءل أحد: هل عربي أو غير عربي. فقد ذابت العروبة في بوتقة الإسلام كما ذابت جنسيات أخرى كثيرة ولغات أخرى كثيرة، وبقى ذلك الرحيق الذي يطلق عليه «التراث العربي المخطوط».

وفى هذا الكتاب مجموعة دراسات عن المخطوطات العربية والتراث العربي في قسمين:-

**القسم الأول:** عن المخطوطات تناول فيه المصطلح والحدود لفن الفهرسة، وهو محاولة استطلاعية أو كشفية تهدف بالدرجة الأولى إلى إلقاء بعض الضوء على مشكلة المصطلح في فرع من فروع هذا التخصص، وإثارة أذهان المشتغلين به للتفكير والمشاركة بالرأي، ولابد من الاعتراف بأن تراثنا في مجال المصطلح الوثائقي أغنى بكثير من الرصيد المتاح لنا في مجال المصطلح المكتبي، وأن علم الوثائق أسعد حظا من علم المكتبات فيما يتصل بالمصطلحات؛ لأنه يتعلق بالتعاملات بين الناس.ورغم ما يعقد من مؤتمرات وندوات لتوحيد منهجيات وضع المصطلحات، كتلك الندوة التى عقدت بالرباط سنة١٩٨١؛ فهناك دراسة نشرها رشيد عبد الحق، أثبتت وجود اثنين وثمانين مصطلحا من مصطلحات الفهرسة جمعها من أحد عشر مصدرا وقارن بين مقابلاتها في تلك المصادر(*). هذا إلى جانب أن عناصر بطاقة فهرسة المخطوط مازالت موضع خلاف بين المفهرسين العرب، كما أن مسميات هذه العناصر

(*) رشيد عبد الحق:المصطلحات العربية فى علوم المكتبات، دراسة لغوية وتطبيق على ألفاظ الفهرسة والفهارس.تونس:المعهد الأعلى للتوثيق،١٩٨٣.ص١٦٣-١٧٦

وترتيبها أيضا ليس محل إجماع. وهذا يترك الباب مفتوحا للاجتهادات الفردية، ولمزيد من الخلاف والتشتيت في المصطلحات المستخدمة ودلالاتها. ويقترح المؤلف عقد ندوة تخصص لهذا الموضوع، وتوضع أمامها كل المصطلحات التى أقرتها المجامع العربية، إضافة إلى مشروع معجم المعلوماتية الذي أعده مكتب تنسيق التعريب بالرباط، ولو لم تخرج هذه الندوة إلا بتعريف بهذا المعجم، ومناقشته، وتقييمه، وإثرائه بملاحظات المتخصصين في مختلف الدول العربية، لكان ذلك كافيا.

كما تناول مؤلف هذا الكتاب فهارس المخطوطات، ومشاركة المخطوطات مع المطبوعات في مواجهة، مشكلة المداخل، وكيفية كتابة الأسماء العربية القديمة، وإن كانت المخطوطات تنفرد بمشكلات أخرى أكثر تعقيدا؛ لأن بيانات الوصف الببليوجرافى للمخطوط أشد تفصيلا وتنوعا، فهي تغطى مجالات متعددة كالخطوط، والأحبار، والألوان، وفنون الزخرفة، والتذهيب والتجليد. وهذه المجالات لها مصطلحات متخصصة دقيقة، وهى تذكر فى بداية المخطوط وخاتمته وتعرف بمختلف صور التوثيق التى يحملها كالتملكات، والسماعات، والإجازات والمقابلات، وغيرها من البيانات التى يلزم ذكرها للتفريق بين نسخة وأخرى.

ولعل من أهم المشكلات الأساسية التى تواجه من يتعرض لفهرسة المخطوط :

**مشكلة مداخل المؤلفين القدماء:** وهى مشكله لا تنفرد بها المخطوطات وحدها؛ وإنما تنسحب على كتب التراث العربي المخطوط والمطبوع على السواء. فبينما اشتهر بعض المؤلفين العرب باسمه مثل الحسن البصري، وجابر بن حيان، نجد أن بعضهم الأخر قد عرف بكنيته مثل: أبى حنيفة، وأبى الأسود الدؤلى، والبعض الثالث عرف بلقبه كالجاحظ، والطبري، والرازى، والكندي. ومع أن الشهرة باللقب هي الغالبة، إلا أنه يصعب تقنين مداخل المؤلفين العرب على أساس أن تكون بالألقاب دائما؛ لأننا لا نستطيع تعميم تلك القاعدة على المؤلفين الذين لم يشتهروا بألقاب معينه مثل: مالك بن أنس، وواصل بن عطاء وطه حسين، وأحمد أمين من المحدثين.

**و المشكلة ثانية هي مشكلة العنوان :** وهى مشكله ذات ثلاثة وجوه ؛ الأول: أن يشتهر المخطوط بعنوان غير عنوانه الأصلي مثل: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، وشهرته: خطط المقريزى، والثاني: أن يكون للمخطوط أكثر من عنوان، بمعنى أن تحمل نسخ الكتاب الواحد عناوين مختلفة كما هو الحال في شرح أبى العلاء المعرى على ديوان أبى الطيب المتنبى. فبعض نسخ هذا الشرح تحمل عنوان: معجز أحمد، وبعضها الأخر يحمل عنوان: اللامع العزيزى. وهى تحتاج في كشفها إلى خبرة بالمخطوطات ومحتوياتها، وتحتاج بعد ذلك إلى تحديد العنوان الأصلي ليدخل الكتاب به، ويحال إليه من العناوين الأخرى غير المستعملة. والثالث: أن النسخة الواحدة من المخطوط قد يكون لها أكثر من عنوان : واحد على الغلاف، وآخر فى المقدمة، وثالث في الخاتمة. وكل واحد من الثلاثة مغاير للعنوانين الأخرين.

**والمشكلة الثالثة مشكلة تاريخ المخطوط :**

فمع أن التاريخ مهم جدا لتحديد مدى اقتراب النسخة التي بين أيدينا من نسخه المؤلف ومدى قربها من الأصل الذي أخذت عنه، إلا أن كثيرا من المخطوطات لا يحمل تاريخ نسخه، ربما لعدم اهتمام الناسخ بذكر التاريخ، وربما لضياع الورقة الأخيرة من المخطوط، وهى الموضع الذي يذكر فيه التاريخ عادة .

**والمشكلة الرابعة مشكلة المجاميع :**

والمجموع عبارة عن عدة مباحث أو رسائل جمع بعضها إلى بعض فى كتاب واحد.وقد تكون هذه المباحث لمؤلف واحد أو لمؤلفين متعددين. وقد يحمل المخطوط عنوان المبحث الأول (وهو عنوان يضلل المفهرس إن لم ينتبه لمحتويات الكتاب). وللمجاميع مشكلة أخرى هي مشكلة التصنيف. فغالبا ما يضم المجموع مباحث تتناول فنونا من المعرفة مختلفة. ولا يستطيع المفهرس أن يعطى الكتاب أكثر من رقم تصنيف واحد ،كما لا يستطيع أن يضع الكتاب الواحد إلا في موضع واحد تحت رأس موضوع واحد.فعلى أي أساس يختار المفهرس رقم تصنيف المجموع، وهو الرقم الذي سيحدد موضعه بين مقتنيات المكتبة؟ وهل يوضع كل مجموع تحت رأس الموضوع الغالب عليه؟ أم تجمع كتب المجاميع كلها فى مكان واحد؟

هذه المشاكل تصب في مجرى واحد، وتثير مشكلة أخرى تتصل بنوعية من يقومون بفهرسة المخطوطات: هل تكفى الدراسات التى يتلقاها طلاب أقسام المكتبات بالجامعات للنهوض بهذا العمل ؟ ويوم تتوفر لدينا الطاقات البشرية الصالحة لهذا العمل والقادرة على الوفاء به،ويوم نستطيع تحقيق أكمل أنواع الفهرسة للمخطوطات وأدقها، يومها سوف تثار مشكلة أخرى هى مشكلة تكاليف فهرسة المخطوطات، وهل لها ما يبررها؟ ونظرا لأن مجموعات المخطوطات محدودة النمو من ناحية، ولا توجد إلا في مكتبات معدودة من ناحية أخرى، فقد كانت الفهارس المطبوعة-ولا تزال-هي الشكل الأمثل لفهارس المخطوطات. فهذا النوع من الفهارس هو الذي يمكن أن تتبادله المكتبات ، ويطلع عليه الباحثون في شتى بقاع الأرض. فإذا ما ظفروا بما يحتاجونه أرسلوا في طلب نسخ مصورة منه.

أما الفهارس البطاقية فمع أنها لا يمكن لأية مكتبة أن تستغنى عنها، إلا أن قيمتها محلية لا تتجاوز جدران المكتبة التى تنشأ فيها.ولقد بذلت عدة محاولات لعمل فهرس بما نشر من فهارس المخطوطات العربية في العالم. فمنذ ما يقرب من ربع قرن، وفى سنه ١٩٤٧أصدر يوسف أسعد داغر في بيروت كتابه فهارس المكتبة العربية في الخافقين. والكتاب ليس فهرسا لفهارس المخطوطات العربية ولا هو قائمة ببليوجرافية؛ وإنما هو كتاب عام يذكر الفهارس وسط حشد من المعلومات عن المكتبات، وعن تزويق المخطوطات وصيانتها، وعن الببليوجرافيا وغير ذلك من الموضوعات التى لا تتصل بالفهرسة والفهارس. وكان من نتيجة ذلك أن التغطية لم تكن كاملة، وأن المعلومات عن كل فهرس لم تكن

مفصله. وفى سنه ١٩٤٩ صدر في باريس عمل آخر لجورج فاجدا George vajda بعنوان des et inventaires de manuscrits Arabes. .Repertoire catalogues محاولا تغطية فهارس المخطوطات العربية،وفهارس المخطوطات الشرقية التى تشتمل على مخطوطات عربية.ثم كانت آخر محاولة تلك التى قام بها فؤاد سيزجين Fuat Sizgin، والتي نشرها سنه ١٩٦٧م في الجزء الأول من كتابه schrifttums Geschichte des Arabischen. ومع أن سيزجين قد فاته ذكر بعض الفهارس، إلا أن محاولته كانت أنضج المحاولات وأقربها إلى الشمول. ويوم تحصى كل دولة ما لديها من مخطوطات عربيه في فهرس مطبوع، ويوم تخرج تلك الفهارس على نسق واحد، وبدرجة واحدة من التفصيل والدقة في البيانات، وقدر كاف من التكشيف الذي يساعد الباحث على الوصول إلى ما يريد بأيسر الجهد، عندها يمكن تجميع تراثنا المخطوط، ونشر كنوز هذا التراث.

ويستمر المؤلف في عرض الأوضاع الراهنة للمخطوطات العربية في مختلف الدول العربية والإسلامية، ويصفها بأنها مترديه إلى حد يصبح معه العلاج مضنيا وطويلا. فهي مبعثرة بين مختلف الهيئات الحكومية والأفراد. فالمكتبات الوطنية أو القومية في معظم تلك الدول تقتنى مجموعات كبيرة منها على اعتبار أن مسئوليتها الأولى هي تجميع تراث الأمة، وصيانته، والحفاظ عليه، وتسليمه للأجيال القادمة. وبعض المكتبات الجامعية عز عليها ألا تظفر من هذا التراث بنصيب، فاقتنت كميات منه تتفاوت من جامعة لأخرى، يحكمها في ذلك تاريخ الجامعة ووضع المخطوطات في الدولة التي تتبعها. وليس تشتت المخطوطات بين مختلف أنواع المكتبات في الدولة الواحدة هو المظهر الوحيد لسوء حالها؛ فالذي يدخل مخازن أي مكتبة عربية يشعر بأسى عميق لما تلقاه المخطوطات من إهمال بعد أن تحولت في نظر الكثيرين من المسئولين عنها - سواء أكانوا أصحابها أم القائمين عليها من موظفي الدولة- إلى مواد متحفية تعرض منها النسخ التى تتحلى بألوان من الفن في كتابتها أو زخرفتها أو تجليدها، ويكدس الباقي أكواما في المستودعات ليكون طعاما للآفات والحشرات دون أن يحظى بأي نوع من الصيانة.فإذا تركنا مخازن المخطوطات وبحثنا عن فهارسها طالعنا جانباً آخر من جوانب المأساة. فلا توجد دولة عربية لديها فهرس كامل بما عندها من مخطوطات.

وإذا كانت هذه هي الأوضاع الراهنة لتراثنا المخطوط، فالسؤال الآن هو:ما الذى يجب علينا تجاه هذا التراث؟ وإذا كانت المكتبات الوطنية هي المنوطة بالتراث.فما أبعاد مسئوليتها نحو هذا التراث؟ وإلى أي حد تفي مكتباتنا الوطنية بهذه المسئولية؟ وما دور جامعتنا تجاه تراثنا المخطوط؟ وعليه فيجب على الجامعات ألا تغفل جانب التراث فيما تصدره من مجلات، وخاصة التى تصدر عن الكليات المعنية بالعلوم العربية والإسلامية،كما يجب أن تتوثق الصلات بين الأساتذة الذين تتصل دراساتهم بالتراث ومجلة معهد المخطوطات التى تصدر عن جامعة الدول العربية حتى تكون تلك المجلة منارة حقيقية

لتراثنا العربي والإسلامي.وإذا كنا نجد إحجاما من المتخصصين عن تحقيق هذا التراث، ومن الناشرين عن نشره، فلنعالج أسباب هذا الإحجام.

ويقترح المؤلف إمكانية إدخال تحقيق النصوص في برامج الدراسات العليا وفى الرسائل العلمية التى تقدم للجامعات، فلاشك أن قيام الجامعة بنشر النصوص المحققة سيرفع من قدر تلك النصوص ومن قدر عملية التحقيق ذاتها في نظر جمهور المثقفين والقراء، وسيجعل إقبالهم عليها أشد من إقبالهم على ما تنشره أية هيئة تجارية تقوم خارج أسوار الجامعات. ويجدر بنا أن نذكر أن معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية يصدر نشرة دورية بعنوان (أخبار التراث) هدفها الأساسي هو الإعلام عما حقق وما يجرى تحقيقه حاليا، ولكن هذه النشرة إمكاناتها متواضعة وتوزيعها أشد تواضعا، وهى لا تغنى عن إنشاء قاعدة بيانات ببليوجرافية محصية لتراثنا المخطوط، ترصد هذا التراث وتسجل ما يحقق منه يوما بيوم. ولا شك أن حصر التراث، وتحقيقه، ونشره على الناس سيصحح كثيرا من الأفكار الخاطئة، ويبرز عظمة هذه الأمة.

ثم يعرض المؤلف لتجربة مؤسسة الفرقان في حصر المخطوطات الإسلامية في العالم وإسهامات صلاح الدين المنجد في تأصيل علوم المخطوط العربي.

**وفى القسم الثاني** من الكتاب يتحدث المؤلف عن نشأة علم الببليوجرافيا عند المسلمين، فيذكر أن علم الببليوجرافيا، أو علم قوائم الكتب بكل ما يتضمنه إعداد القوائم من طرق الجمع والتنظيم، وبكل ما يتطلبه من معلومات تقدم عن الكتب والمؤلفين؛ علم حديث في الغرب لم يكد يبلغ من العمر قرنين كاملين، ولكنه علم قديم في لغة العرب - وإن لم يعرف فيها بهذا الاسم- ويرجع تاريخه المحقق إلى أكثر من عشرة قرون. ويكاد ينعقد إجماع الباحثين على أن فهرست «ابن النديم» هو أول عمل ببليوجرافي في اللغة العربية، ويكاد ينصرف اهتمامهم في دراسة تاريخ هذا العلم وتطوره على أيدي المسلمين إلى أعمال بعينها تمثل علامات بارزة على الطريق الطويل الذي قطعه التجميع الببليوجرافي عبر عشرة قرون كاملة ابتداء من «ابن النديم» في فهرسه، ومرورا «بطاشكبرى زاده» في «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» و«حاجى خليفة» في «كشف الظنون»، ووصولا إلى «إسماعيل البغدادي» في «إيضاح المكنون»، و«هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين»، وانتهاء «بيوسف سركيس» في «معجم المطبوعات العربية والمعربة». ونقطة البدء في تاريخ هذا العلم عند المسلمين تحتاج إلى وقفة متأنية، فكتاب «الفهرست» في صورته التى وصلنا عليها برغم كل ما فيها من مظاهر النقص والقصور لا يمكن إلا أن يكون ثمرة جهود متصلة ومحاولات سابقة أصغر منه حجما وأضيق مجالا. فقد أراد ابن النديم لكتابه أن يكون حصرا لكل ما ألف في اللغة العربية، وكل ما ترجم إليها فى مختلف فروع المعرفة حتى سنة٣٧٧هـ.وعمل ترسم حدوده بهذا الاتساع والشمول لا يمكن أن يكون باكورة الأعمال الببليوجرافية في لغة من اللغات.

وأول ما يلفت النظر في هذا الكتاب أن مؤلفه عنونه بالفهرست. والفهرست كلمه فارسية معربة ومعناها فى اللغة : (الكتاب الذى تجمع فيه الكتب)، وتطلق أيضا على قائمة محتويات الكتاب، وإلى هذا المعنى الأخير يتجه قولهم (فهرس كتابه)، كما أوضح الفيروزابادى في قاموسه المحيط. والمعنى الأول للفظ هو الذى يعنينا ، وإن كان التعريف الذي سقناه لا يفرق بين مدلولين متميزين في العصر الحديث هما: الفهرس، والببليوجرافيا. فالقوائم الببليوجرافية، والفهارس المطبوعة تتفق معا فى أنها (قوائم للكتب)، ومن ثم يصدق عليها التعريف اللغوي لكلمة الفهرس. ولهذا نجد اللفظ في تراثنا العربي يطلق على فئتين دون تمييز بينهما، فيقال: فهرس مؤلفات فلان، وفهرس مكتبة كذا، وهو في الاستعمال الأول يعنى ما تعرفه اليوم بالببليوجرافيا، وفى الاستعمال الثاني يقصد به المعنى الاصطلاحي الحديث لكلمة الفهرس.

ولقد وجدت فهارس للمكتبات الإسلامية منذ عصر مبكر. فقد تحدث الحسن بن سهل بأن خزانه الحكمة في بغداد كان لها فهرس في زمن الخليفة المأمون. وذكر ابن الجوزى أنه في سنة٣٨٣هـ اشترى سابور بن أزدشير وزير بنى بويه دارا في الكرخ بين السورين، وعمرها، وبيضّها ، وسمّاها دار العلم، ووقفها على أهله. ونقل إليها كتبا كثيرة ابتاعها وجمعها وعمل لها فهرست. ومع أن فهارس المكتبات كانت في أغلب الأحيان على شكل دفاتر وكراريس، إلا أن بعض المكتبات كانت تلصق على باب كل خزانة من خزائن كتبها فهرسا بمحتوياتها. فالمقريزى يحدثنا في خططه أن تلك الطريقة كانت متبعة في خزائن القصر الفاطمي بالقاهرة.

ويحدثنا المقدسى أنه رأى خزانة كتب عضد الدولة البويهى بشيراز، وأنها كانت عبارة عن أزج طويل فيه خزائن طول كل منها قائم في عرض ثلاثة أذرع، لكل نوع بيوت وفهارس فيها أسامى الكتب. تلك نماذج للاستعمال الأول للفظ (الفهرس) في التراث العربي القديم. فإذا انتقلنا إلى الدلالة الثانية للفظ وجدناها متمثلة في كتاب «الفهرست» لابن النديم، وفى «رسالة البيرونى» في فهرست كتب محمد بن زكريا الرازى، وفى فهرست كتب الشيعة لأبى جعفر الطوسى، وفهرست ما رواه ابن خير الأشبيلى عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، وغيرها من الكتب المتأخرة التى سميت فهارس وهى في الحقيقة قوائم ببليوجرافية.

وأقدم هذه الأعمال جميعا فهرست ابن النديم. ونظرا لأنه لم يرد في كشف الظنون وذيله أى فهرس آخر يتقدم عليه في ذلك الزمن؛ فقد اعتقد الباحثون أنه أول عمل ببليوجرافي ظهر في اللغة العربية. وذلك يدفعنا إلى محاولة الوقوف على مدى صحة هذا الاعتقاد. فالذي تؤكده مصادر التراث العربي، والذى يقطع به فهرست ابن النديم نفسه، أنه سبق بمحاولات ببليوجرافية رائدة ضاع معظمها، وبقيت شواهد تدل عليها نذكر منها: أن كتب التراجم السابقة على ابن النديم والمعاصرة له كانت تذكر في بعض الأحيان أسماء كتب المؤلفين أو تقتصر على أهم هذه المؤلفات،

عروض موقعة ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ولكن الصفة الببليوجرافية لم تكن مقصودة ولا مكتملة في تلك الكتب. ففي كتاب مراتب النحويين-مثلا-يذكر لنا أبو الطيب اللغوي بعض مصنفات النحاة الذين يترجم لهم مثل كتابي الإكمال والجامع لعيسى بن عمر،والغريب المصنف وغريب القرآن، وغريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام. ولكن أبا الطيب لم يتعمد ذكر الكتب، ولم يقصد إليه قصدا، وإنما كانت أسماء المؤلفات تأتى عرضا لتخدم الترجمة، بدليل أننا نجده يقول في ترجمه الأخفش الأوسط،أبى الحسن سعيد بن مسعدة (ولم يكن الأخفش ناقصا في اللغة أيضا ،وله فيها كتب مستحسنة) دون أن يذكر هذه الكتب أو يسميها. وما فعله أبو الطيب في مراتب النحويين فعله الزبيدى في طبقات النحويين واللغويين.

وعلى الرغم من أن تلك المحاولات كانت واضحة الأهداف والغايات، إلا أنها لم تتم بنفس القدر من الوضوح في مناهجها وطرق تجميعها وترتيبها، فمعظمها كان يكتفي بذكر عناوين الكتب، كما في قوائم مؤلفات الشافعي، وجابر، وابن مسعود العياشى،وبعضها كان يحصى عدد أوراق الكتب، كما هو الحال في قائمة مؤلفات داود بن على، في حين كان البعض الآخر ينص على عدد الفصول أو الأقسام أو المقالات في كل كتاب كما في قائمة مؤلفات أبى بكر الرازي. ولم يخضع أي من تلك القوائم لترتيب معين، فلا هي رتبت الكتب هجائيا بعناوينها، ولاهي رتبتها زمنيا أو موضوعيا. وبالنسبة للترجمات العربية لمؤلفات أرسطو وجالينوس كان يمكن أن تجمع الأعمال التى ترجمها شخص واحد في موضع واحد ولكن شيئا من ذلك لم يحدث. ومعنى هذا أن طريقة التنظيم الببليوجرافي لم تكن واضحة في تلك التجميعات الببليوجرافية الأولى، ولم تكن البيانات الببليوجرافية مستوفاة أو حتى متفقا عليها بالنسبة لهذه الأعمال .

ولكننا نظلم تلك الفترة إذا قومناها بمعايير عصرنا الحديث الذي صبت فيه تجارب أكثر من عشرة قرون كاملة. ويكفيها فخرا أنها فتحت هذا الباب واقتحمت ميدان العمل الببليوجرافي قبل أن تعرفه أوروبا بما يقرب من تسعه قرون. ولاشك أن ابن النديم قد أفاد من هذه البواكير الببليوجرافية الشىء الكثير، وأكاد أقول إنها لم تكن بالنسبة إليه مجرد مصدر للمعلومات الببليوجرافية التى ضمنها كتابه، بل لعلها هي التى أوحت إليه بفكره العمل الببليوجرافي الشامل ودفعته إلى تأليف كتاب الفهرست الذي تمثلت فيه حصيلة ما يقرب من ثلاثة قرون من التأليف والترجمة في اللغة العربية، وتمثل فيه أيضا نضج ببليوجرافي لم يكن يمكن أن يتأتى له إلا بعد محاولات الرواد الأوائل بكل ما فيها من سذاجة وقصور.

إذن فابن النديم ليس الأب الشرعي لعلم الببليوجرافيا العربي كما توهم أكثر الباحثين، فقد سبقه غيره على الطريق، ومعنى ذلك أن علم الببليوجرافيا عند العرب تمتد جذوره إلى أواخر القرن الثاني الهجري، أى إلى ما قبل الفهرست بما يقرب من قرنين كاملين. وكانت ببليوجرافيات تلك الفترة تعالج أفرادا لا موضوعات، وأن المؤلفين كانوا هم الذين يقومون بتجميع قوائم مؤلفاتهم في

بعض الأحيان وإن كان الأغلب والأعم أن يتولى ذلك التلاميذ والمريدون. ولقد كان كتاب الفهرست تتويجا لهذه المرحلة الأولى من مراحل تأريخ علم الببليوجرافيا عند المسلمين، فيه تجاوزت المؤلفات الببليوجرافية حدودها القديمة، وفيه خضعت للتنظيم -ربما لأول مرة- ومن خلاله بدأت تظهر الملامح الأولى للوصف الببليوجرافي.

وعلى الرغم من كل ما يمكن أن يعاب على فهرست ابن النديم فإنه يظل عملا ببليوجرافيا عملاقا في تراثنا العربي، وحسبه أنه أول منارة تلقانا على طريق الأعمال الببليوجرافية في اللغة العربية، وأشمل وثيقة تبين لنا ما وصل إليه المسلمون في حياتهم العقلية والعلمية في عصر من أزهى عصور حضارتهم، ولولاه لضاعت أسماء الكتب وأوصافها كما ضاعت الكتب نفسها، ولتعذر على من يتصدى لتأريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي أن يتبين طريقه، وأن يضع قدمه على أرض ثابتة ويده على حقيقة يطمئن إليها. وحسبه أيضا أنه الأساس الذي اعتمد عليه والمرجع الذي رجع إليه كل من أتى بعده من الببليوجرافيين المسلمين على مدى عشرة قرون كاملة.

وبعد ذلك يتحدث المؤلف عن تراثنا الفقهي وقضاياه الببليوجرافية، ويبدأ بشرح مصطلح الفقه بمعناه اللغوي، وهو الفهم، وبمعناه الاصطلاحي، وهو علم استخراج الأحكام الشرعية التى تتعلق بأفعال العباد، واستنباطها من أدلتها التفصيلية. الشريعة الإسلامية ليست مجرد خيط إلهى يربط الأرض بالسماء، ويشد الإنسان إلى خالقه وموجده من العدم، وإنما كانت ضوءا كاشفا يصل السماء بالأرض، ويهدى العقل والقلب وثمة حكمة بالغة في نزول القران الكريم منجما على النبي صلى الله عليه وسلم، وهى حكمة ندرك بعض أسرارها ولا نحيط بها علما. والله سبحانه وتعالى أراد لكتابه الكريم أن يكون دستورا دائما للبشرية، يعالج أمورها، ويصلح شئونها، ويحل مشاكلها التى تواجهها على درب الحياة، ومن ثم كانت تنزل الآية أو الآيات في الموقف الواحد تجيب للناس على استفساراتهم، وتضع الحلول العملية لما يعرض لهم في حياتهم من مسائل ومشاكل. وقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة أن يجتهدوا فيما لم يرد فيه نص من القرآن والسنة، شريطة أن يكون هذا الاجتهاد على هدى من الكتاب والسنة وألا يتعارض معه. وينتقل الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى الرفيق الأعلى، ويمضى جيل الصحابة ومن بعده جيل التابعين، وتتسع أرجاء الدولة الإسلامية، وتظهر الحاجة إلى الاجتهاد والقياس، وتتمخض هذه الحاجة عن ظهور المذاهب الفقهية الإسلامية فى القرن الثاني الهجري.

واستمر باب الاجتهاد مفتوحا على مدى قرنيين كاملين امتدا إلى القرن الرابع الهجري.وقد شهد أمهات المؤلفات في مختلف المذاهب، ولم تنقطع الشروح والحواشي والتعليقات التى عملت على تلك الأصول، ولم تنقطع فيما تلاه من عصور. وكانت نتيجة ذلك حصيلة ضخمة من التراث الفقهي في كل مذهب من المذاهب. وفى كتاب «الفهرست» يخصص ابن النديم المقالة السادسة من مقالاته العشر للفقه والفقهاء، فيذكر فقهاء كل

مذهب ومؤلفاتهم حتى سنه٣٧٧ هـ، وهى السنة التي انتهى فيها من تأليف الكتاب، ويخصص طاشكبرى زاده الدوحة السادسة من كتابه «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» في موضوعات العلوم للعلوم الشرعية،وفى هذه الدوحة تختص الشعبة السادسة بعلم أصول الفقه، وفيها يترجم للأصوليين ويذكر مؤلفاتهم حتى تاريخ تأليف الكتاب سنه ٩٤٨هـ.وليس فهرست ابن النديم ومفتاح السعادة هما المرجعان الوحيدان اللذان يحصيان تراثنا الفقهي، فهناك كتب أخرى كثيرة بعضها أضخم وأشمل مثل «كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون» لحاجى خليفة، و«إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون»، و«هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين»، وكلاهما لإسماعيل البغدادي. وهذه الكتب تتفاوت فيما بينها من تباين في طرق التنظيم وفى عدد ما تحصيه من المخطوطات.

وتأتى بعد ذلك الأعمال الببليوجرافية المعاصرة، وأول من تصدى لهذه المهمة كارل بروكلمان الذي أنفق من عمره أكثر من خمسين عاما في جمع مادة كتابه (تاريخ الأدب العربي) Geschichte der Arabischen Litterateur . وكلمه الأدب هنا لا تستعمل بمدلولها الاصطلاحي الذي يقتصر على الجيد من الشعر والنثر، وإنما يتسع معناها ليستوعب كل ما أنتجه الفكر الإنساني في مختلف فروع المعرفة وميادين الحياة.فقد أراد بروكلمان أن يؤرخ للحياة العقلية العربية من خلال حصر المخطوطات العربية في العالم ، واعتمد في جمع مادة كتابة على ما نشر من فهارس لتلك المخطوطات في شتى أرجاء المعمورة،فقدم لنا حصرا بكل المخطوطات العربية التى أحصتها الفهارس المطبوعة بحيث تتجمع النسخ المتعددة للكتاب الواحد في موضع واحد مهما تباعدت أماكن وجودها.

وقد استبعد بروكلمان الكتب المجهولة المؤلف، ورتب مادة كتابه ترتيبا زمنيا بالعصور والدول، وتحت كل عصر يذكر الموضوعات، وتحت كل منها يأتي بالمؤلفين مرتبين زمنيا، فيذكر نبذة عن حياة كل منهم، يتبعها بذكر المصادر التى ترجمت له، ثم يحصى أعماله الباقية، والمكتبات التى توجد بها، وأرقامها فى تلك المكتبات أو فى فهارسها، وقد يذكر طبعاتها الأساسية وما كتب حولها من تعليقات، أو نقد، أو اختصار. وبعد أن نشر بروكلمان كتابه في مجلدين كبيرين صدرا في عامي١٨٩٨، و١٩٠٢ونشر ملحقين مرتبين على غرار الأصل الأول سنة١٩٣٧، والثاني سنة١٩٣٨ ، نشر ملحقا ثالثا سنة ١٩٤٢ تناول فيه الأدب العربي الحديث وضمنه كشافات الكتاب وملاحقه. وقد أعيد طبع الجزأين الأصليين سنه١٩٤٣,١٩٤٩.

وشرعت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية في ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية، فعهدت به إلى الدكتور عبد الحليم النجار، وصدرت من الترجمة العربية ثلاثة أجزاء فيما بين سنة ١٩٥٩ وسنة١٩٦٢، ثم توفى المترجم وتوقف العمل في المشروع حتى استأنفه الدكتور السيد يعقوب بكر، والدكتور رمضان عبد التواب، فأصدرا منه المجلدين الرابع والخامس في سنة ١٩٧٥م.

والمجلد السادس في سنه ١٩٧٧، ولعل أخطر ما يعاب على كتاب بروكلمان أنه اعتمد على الفهارس المنشورة للمكتبات فأهمل كل ما لم يسجل في تلك الفهارس،وهو يمثل نسبة كبيرة جدا من تراثنا،فضلا عن أنه وقع في كل ما وقعت فيه تلك الفهارس من أخطاء أو نقص في الأسماء أو التواريخ أو البيانات .

ومن بعده جاء فؤاد سيزجين، وأراد أن يصدر ملحقا يكمل به النقص الموجود في كتاب بروكلمان فيما يختص بالمخطوطات العربية الموجودة في استانبول. ولكنه لم يلبث أن عدل عن خطته إلى عمل أشمل، «عمل جديد مستقل عن كتاب بروكلمان»، كما يقول في مقدمته ،عمل يتلافى به أوجه القصور التي تكشفت في عمل بروكلمان، وأهمها أن الاعتماد على الفهارس المطبوعة لم تذكره الفهارس أكثر مما ذكرته، ولهذا حرص سيزجين على زيارة المكتبات ومعاينة المخطوطات بنفسه على الطبيعة قبل أن يسجلها فى كتابه، وقد أتاحت له هذه المعاينة أن يضيف معلومتين جديدتين عن كل مخطوط لم يكن يذكرهما بروكلمان وهما : تاريخ نسخ المخطوط، وحجمه، أو عدد أوراقه وأجزائه.

ولم يخف على سيزجين أن الوحدة الموضوعية أهم، وأن الترتيب الموضوعي هو الأنسب والأنفع للباحثين، فرتب كتابه الذي أطلق عليه «تاريخ التراث العربى» Geschichtes des Arabischen schrifttums على حسب الموضوعات،فاختص الجزء الأول منه بعلوم القرآن، والحديث، والفقه، والتوحيد، والتصوف، والثاني بعلوم اللغة والأدب شعرا ونثرا، والثالث بالترجمة والفلسفة والعلوم الطبيعية، والرابع بالكيمياء، والنبات، والزراعة..الخ.

وقد حرص المؤلف على أن يقدم لكل موضوع بمقدمة تعرف به وتحدد أبعاده،ثم يذكر المؤلفين الذين ألفوا فيه،والمصادر التي ترجمت لهم، ومؤلفاتهم المخطوطة وأماكن وجود كل منها.

وإذا كان كتاب سيزجين أشمل وأكثر استيعابا من كتاب بروكلمان بالنسبة للفترة التي يغطيها، فإن الحاجة إلى كتاب بروكلمان تظل ضرورية لاغنى عنها بالنسبة لمخطوطات ما بعد سنة٤٣٠ هـ ، أى أن ما يقرب من ألف عام من التراث المخطوط مازال خارجا عن نطاق كتاب سيزجين، وليس أمام الباحث عنه إلا كتاب بروكلمان رغم ما فيه من نقص وقصور.

ويظل هذان العملان أعظم عملين ببليوجرافيين يخدمان تراثنا العربي بعامة والإسلامي بخاصة.ويختتم المؤلف هذا العمل الممتاز بالمصادر التى نشرت فيها البحوث والمقالات حول موضوع هذا الكتاب سواء أكانت دوريات، أم أعمال حلقات، وندوات.